

إلى زوجه، وأما سليم فقد خلا إلى ابنه؛ والشباب يتساءلون متضاحكين، وجلنار تسائل نفسها فزعة هلعة دون أن يظن أحد لما تضطرب به نفسها من فزع وهلع. فإذا صُلِّيَت العصر كان وجه «مُنَى» ممتلئاً بشراً، وكانت جُلنار أول من لاحظ ذلك، فلم يزد لها إلا فرقاً وقلقاً؛ ولكن خالداً يدعو إليه الكبار من أبنائه ويتحدث إليهم حديثاً يلقونه بثورة لا يكادون يخفونها، فقد جاء سليم خاطباً يُريد أن يزوّج ابنه، ولكنه لا يخطب «جلنار»، وإنما يخطب تفيدة كُبرى بنات «مُنَى»، وخالد حائر في أمره لا يدري كيف يرد على أخيه قوله: أيقبل هذه الخطبة فيضحي بجلنار البائسة، أم يرفض هذه الخطبة، فيؤذي أخاه وهو لم يتعود قط أن يردّ لأخيه طلباً؟ وقد عرض الأمر على زوجه فلم تنكر منه شيئاً، ومعنى ذلك أنه إن رفض فلن يؤذي أخاه وحده، بل سيؤذي معه زوجه «مُنَى»، وسيؤذي معها سالماً.

فأما الشباب فلم يفكروا في شيء من هذا، وإنما اجتمعت كلمتهم على الرفض وعلى أنّ في هذه الخطبة الجديدة قحة لا تبلغها قحة، وسماجة لا تشبهها سماجة، ثم أخذ الشباب يتضاحكون ويتندرون بعمهم وابن عمهم وبهذه الهدايا الكثيرة التي لم يتعودوا أن يحملوا مثلها، ولم تُصلِّ المغرب حتى كانت الأسرة كلها قد عرفت نبأ الخطبة، وحتى كان الفساد قد شمل أخلاق الشباب والشيخ والصبيان جميعاً، وكأنّ سحابة كثيفة من الغم قد أظلت هذه الدار التي كانت فرحة مُبهجة منذ حين، فملأتها حُزناً وبؤساً، فأما الشبان فقد تفرقوا في أنحاء المدينة يلتمسون الرياضة ويخلو بعضهم إلى بعض، وأما الصبية فقد عشتهم أختهم «جلنار» فأكل منهم من أكل وأعرض منهم من أعرض عن الطعام، واضطروا آخر الأمر إلى مضاجعهم، وأما بنات «مُنَى» فقد لُذْنَ بأمهن صامتات مثلها، باسّمات مثلها، غامضات مثلها أيضاً. وأما «جلنار» فقامت على خدمة الدار كما تعودت، وهيات للرجال طعامهم، فلما لم يقربه أحد منهم دعت النساء إلى طعامهن، فلما امتنعن رفعت كتفها وهزت رأسها وأصابت قليلاً من طعام وجلست مكانها مع النساء صامتة تنتظر أن يأوي الرجال إلى مضاجعهم لتدور في البيت دورتها المألوفة، فتشق بأن الأبواب مغلقة، وبأن كل شيء مستقر في موضعه الذي يجب أن يستقر فيه، فأما قلبها فقد كان حزيناً، ولكن عهده بالحزن قديم، وأما نفسها فقد كانت يائسة، ولكن السبب الذي كان بين نفسها وبين الأمل قد كان واهياً واهناً، حتى إذا انقطع لم تكد تحس له انقطاعاً.

وهمّ خالد فيما أقبل من الأيام أن يُرضي أخاه ويضحّي بابنته الكبرى، ويكره أبنائه على ما لا يحبون؛ فهو صاحب الحق آخر الأمر في أن يرفض أو يقبل، ولكنه وجد من